فتح الملهم شرح صحيح مسلم (دراسة تحليلية)

د. زيتون بيگم شمس الدين ☆

كان شبير احمد عثمانى من أشهر علماء دارالعلوم فى القرن العشرين الذين كانوا يجمعون كل المزايا العلمية والعملية التى كانت دارالعلوم تمتاز بها. فكان رحمه الله محدثا بارعاً و مفسراً كبرا و متكلما معروفاً و خطيباً مصقعا و عالماً جليلاً و سياسياً محنكا و أديباً معروفاً.

ولد العلامة شبير احمد عثمانى يوم عاشورا أى العاشر من محرم سنة ثلاثمائة و خمس بعد الألف من هجرة سيدنا محمد ﷺ فى مدينة بجنور. و نسبه يرجع إلى سيدنا عثمانؓ. كما ذكر فى نهاية تفسيره للقرآن الكريم.

أن نسبه يرجع إلى سيدنا عثمانؓ فى سلسلة ثلاثة و أربعين جداً.

العلامة شبير احمد العثمانى تحصل علم اللغة العربية والأردية والفارسية والفقه والحديث و التفسير والمنطق والحساب والفسلفة على أيدى أساتذته الكبار كالشيخ عبيدالله السندهى والشيخ محمود الحسن والشيخ انور شاه الكشميرى والشيخ محمد ياسين و غيرهم.(۱)

وقد توفى يوم الاثنين ۲۱ صفر سنة ۱۳٦۹ھ الموافق ۱۲ ديسمبر ۱۹٤۹م. صلى عليه صلوت حاضرة و غائبة و دفن فى ساحة الكلية الاسلامية بكراتشى.

كان العلامه العثمانى بذل جهوداً سياسية و أدبية و علمية واشتغل على مناصب عديدة ولم يزل يصنف طوال حياته برغم انشغاله بالدروس والأمور السياسية فصنف كتباً كثيرة التى نالت الشهرة على الدوام منها تفسير العثمانى

☆ ڈپٹی ڈین کلیہ عربی، بین الاقوامی اسلامی یونیورسٹی ۔ اسلام آباد

للقرآن الكريم' فضل البارى صحيح البخارى' العقل النقل' المعراج فى القرآن' الروح فى القرآن' فتح الملهم شرح صحيح مسلم و غيرها.

فتح الملهم للعلامة شبير احمد، العثمانى المتوفى ١٩٤٩م من اجل شروح صحيح مسلم و اكثرها ايضاحاً و تفصيلا و هو الشرح الوحيد الذى شاع فى ايدى الناس و عَم نفعه، فى شبه القارة الهندية الذى الف فى اللغة العربية ودرس فى المدارس الدينية و شاع فى انحاء العالم.

وصف عام لفتح الملهم و مواده:

و شرحه هذا الى آخر كتاب النكاح ولم يتيسر له اتمامه وكان شبير احمد عثمانى يتمنى لاكمال هذا الشرح لكن ظروفه الصحيحة و اموره السياسيه لم تمنحه الفرصة. ولا تستطيع أن تحدد الوقت المعين لاقامته بشرح هذا الكتاب. لكن عرفنا من خلال التحقيق انه بدا بهذا العمل الجليل منذ سنة ١٣٣٣ه الموافق ١٩١٤م حينما قام بتدريس صحيح مسلم نيابة عن استاذه الشيخ محمود الحسن عندما كان مسافرا الى الحجاز فى نفس العام و تركه نائبا عنه لتدريس الحديث فى صحيح مسلم.

وكان يفكر فى كيفية طبع هذا الكتاب الضخم ومن يتحمل نفقاته وقيل انه عندما سافر الى الحجاز والمدينة المنورة وضع كتابه هذا امام روضة النبىﷺ ودعى الله تعالى و قال يا رسول الله: "انا اقدم اليك هذه الخدمة المتواضعة فتقبله منى وادعو الله لى ان ييسر لى الاسباب فى طباعته فحين رجع الى بلده قام مير عثمان على خان نظام الملك حيدر آباد دكن بطبع هذا الكتاب على نفقته وكما كتب العلامة الاهذاء باسمه، فظهر هدا الشرح على مساحة العالم ببركة دعائه على روضة النبى ﷺ بدون تأخير بعد اتمامه.

طبع هذا الشرح طبعا حجريا فى الهند فى ثلاث مجلدات ضخمة فى حجم، ٤٠X٢٠ يزيد عدد مجموع صفحاتها على الف و خمسمائة و عدد اسطر كل صفحة خمسة و ثلاثون سطرا.

طبع الجز الأول لفتح الملهم فى شرح صحيح مسلم من مطبعة مدينة، بجنور سنة ١٣٥٢ هجرية/١٩٣٣ ميلادية، وعدد صفحاته خمسمائة يحتوى على مقدمة قيمة تتعلق بعلم أصول الحديث بالتحقيق الباهرالدقيق و مقدمة صحيح مسلم و شرح خطبته و معها ثلاثة كتب و هى:

الأول كتاب الايمان، الثانى. كتاب الطهارة. الثالث. كتاب الحيض:

اما الجزء الثانى لفتح الملهم فطبع من مطبعة مدينة بجنور ايضا فى سنة ١٣٥٤هجرية/١٩٣٥ ميلادية، وهذا الجزء يحتوى على ٥١٨ (ثمانى عشرة و خمسمائة صفحة) و تسعة كتب اخرى، وهى التالية:

الأول: كتاب الصلاة: الثانى. كتاب المساجد و مواضع الصلاة: الثالث. كتاب صلاة المسافرين و قصرها. الرابع. كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به:. الخامس. كتاب الجمعة. السادس. كتاب صلاة العيدين:

السابع. كتاب صلاة الاستسقاء: الثامن. كتاب الكسوف. التاسع. كتاب الجنائز:.

أما الجزء الثالث لفتح الملهم طبع من مطبعة هاندة بجالندهر، فى سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م ميلادية، باشراف الشيخ عماد الدين الانصارى الشيركوتى. ويحتوى هذا الجزء على (٥٣٠ ثلاثين و خمسمائة صفحة) خمس كتب وهى:

الأول. كتاب الزكاة. الثانى. كتاب الصيام: الثالث. كتاب الاعتكاف: الرابع. كتاب الحج: الخامس. كتاب النكاح.

وهذا الكتاب فتح الملهم فى شرح صحيح مسلم يوجد فى مكتبات العالم الاسلامى وخاصة فى الباكستان، فيوجد فى مكتبة جامعة البنجاب، والمكتبة العامة. و مكتبة الجامعة الاشرفية بلاهور و مكتبة دار العلوم بكراتشى والمدارس الدينية فى الباكستان والهند خاصة فى فروع "دارالعلوم" الديوبندية و مكتبة، المدرسة، الصولتية فى مكة المكرمة، لكن هذا الشرح لم يكن متوفرا فى الاسواق لمن أراد تحصيله مع شدة احتياج العلماء إليه. فأراد السيد على مظهر النقوى أن يبرز

الكتاب بالحروف الحديدية على التقطيع المتوسط فأبرز اولا المقدمة لفتح الملهم فى أجمل الحروف وأحسن الصور التى كانت يحتوى على ٢٦٧ صفحة، فى حجم ١٤/٤X٢٠ وطبعت أول مرة فى مطبعة دار التصنيف بكراتشى فى سنة ١٩٧٣م فى الباكستان.

ثم طبّع الجزء الأول من افريشيا ناظم آباد بكراتشى فى الباكستان والذى يحتوى على ٣٩٢ صفحة فى حجم ٢٢/٤X١٤ وعدد اسطر كل صفحة خمسة وثلاثون سطرا و تاريخ الطبع غير مطبوع على هذا الكتاب.

والفرق بين الطبعة الأولى والثانية هى أن المقدمة لفتح الملهم، مشتملة مع الجزء الأول الذى يحتوى ١٠٨صفحات فى الطبعة الأولى وذلك فى الطبعة الثانية المقدمة منفصلة عن الجزء الأول و حروفها أصغر من حروف الطبعة الأولى بسبب تصغير حجم الكتاب وأما من الناحية الثانية لايوجد أى فرق بين السطور أو الفصول أو الترتيب.

وفى الجملة طبع الكتاب مرة ثانية فى الباكستان بغير تغيير أو اضافة. و كتب العلامة محمد تقى العثمانى تكملة لهذا الشرح فى ثلاث مجلدات و طبع من مكتبة دار العلوم بكراتشى.

منهج العلامة العثمانى خلال شرحه:

منهج العلامة، العثمانى منهج فريد فى أسلوبه و طريقته بين شروح صحيح مسلم وهو منهج تنقيح المسائل و تحقيقها بأراء المتقدمين والمتأخرين كما قال بنفسه، فى كتاب الايمان:

ولم نعمل على شاكلة اكثر المصنفين فى نقل كل غث و سمين والركوب على كل صعب وذلول بل تعين المصير عندنا الى كلام من بلغ من التحقيق والتفصيل والتفهيم واستيعاب الباحث واستيفاء الشقوق واستقصاء الأدلة.(٤)

والأن سنذكر عناصر مهمة لمنهجه مفصلا لكى نوضح أمام القارىء أساس منهجه و طريقته فى الشرح و هى التالية:

الأول:

يجد الباحث مقدمة كبيرة فى أول الكتاب تجمع شتات علم أصول الحديث بتحقيق دقيق يصل آراء المحدثين فى هذا العدد بما قرره علماء أصول الفقه على اختلاف المذاهب غير مقتصر على فريق دون فريق، فهذه المقدمة البديعة تكفى لمن يطالعها موونة البحث فى مصادر لا نهاية لها كما قال العلامة العثمانى بنفسه.

هذه فصول نافعة مهمة فى بيان مبادىء علم الحديث وأصوله التى يعظم نفعها و يكثر دورانها انتقيتها من الكتب المعتبرة عند علماء هذا الشأن مع بعد زيادات مفيدة منحت لى فى أثناء التأليف فأحببت أن أجعلها كالمقدمة للشرح ليكون الناظر على بصيرة فيما يتضمن عليه الكتاب من مباحث الحديث متونه وأسانيده وبالله التوفيق.(٥)

ثانياً:

وبعد المقدمه البالغة مائة صفحة، يلقى الباحث شرح مقدمة صحيح مسلم شرحا ينشرح له صدر الفاحص حيث لم يدع الشارع الجهبذ موضع اشكال منها أصلاً بل أبان مالها وما عليها بكل انصاف مثل فى شرح قول الامام مسلم: "ألا ترى انك اذا وازنت هولاء الثلاثة الذين سميناهم عطاء و يزيد وليث بمنصور بن المعتمر و سليمان الأعمش واسماعيل بن أبى خالد فى اتقان الحديث والاستقامة فيه فقال: "قوله بمنصور بن المعتمر الخ، قد ينكر على مسلم رحمه الله بأن عادة أهل العلم اذا ذكروا جماعة فى مثل هذا السياق قدموا أجلهم مرتبة فيقدمون الصحابى على التابعين والتابعى على تابعه و هنا عكس مسلم فان اسماعيل بن أبى خالد تابعى مشهور رأى أنس بن مالك و سلمة بن الأكوع و سمع عبدالله ابن أبى أوفى وغيره من الصحابة وأما الأعمش فرأى أنس بن مالك فقط وأما منصور بن المعتمر فليس

هو بتابعي وانما هو من تابعي التابعين وأجيب هنا بأنه ليس المراد هنا التنبيه على مراتبهم فلا حرج في ترتيبهم ويحتمل أن يكون قدم منصورا لرجحانه في ديانته و عبادته وان كان غيره من الثلاثة راجحا على غيره لكن منصور أرجحهم قال عبدالرحمن بن مهدي: منصور أثبت أهل الكوفة الا رده فاذا ذكرت منصورا سكت و قال أحمد بن حنبل منصور أثبت من اسماعيل بن أبي خالد وقال أبو حاتم منصور أثبت من الأعمش وقال يحيى بن معين روى أنه صام ستين سنة وقامها وأما عبادته وزهده وامتناعه عن القضاء حين اكره عليه فأكثر من أن يحصى واشعر من أن يذكر، وقال العجلي وكان فيه تشيع قليل ولم يكن بمغال وكان قد عمش من البكاء، وقالت فتاة لأبيها يا أبت الأستوانة التي كانت في دار منصور ما فعلت قال يابنية، ذات منصور يصلي بالليل فمات توفي سنة اثنتين و ثلاثين ومائة."(٦)

وهكذا نرى أنه أخذ على الامام مسلم من ناحية تقديم غير التابعي على التابعي. وتأيد بتقديمه من حيث زهده وورعه بأقوال العلماء عن ورعه، من ناحية ثانية، وبين مالها وما عليها.

ثالثاً:

وضع العلامة العثماني للشرح خطة واحدة اتبعها بدقة في سبع الأبواب فجاء الشرح- على طوله- على نسق واحد يدل على فهم يتقن التصنيف والتبويب و هو انه بدأ بشرح موضوع جديد بتعريفه اللغوي والاصطلاحي ثم اصدار الحكم عليه في ضوء أقوال العلماء والفقهاء بالاستدلال العقلي والنقلي غالباً وأحيانا يقدم رأيه الخاص ان كان له رأي. ويدل على ذلك كل أبواب (كتب) كتابه فتح الملهم في شرح صحيح مسلم ككتاب الايمان والصلاة والصيام والزكاة وغيرها. ونكتفي على مثالين من كتاب الايمان والزكاة فقط.

ذكر العلامة في كتاب الايمان بحثا لغويا عن الايمان فقال: "الايمان افعال من الأمن يقال آمنته وأمنت غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه، وحقيقته آمنه التكذيب

والمخالفة وأما تعديته بالباء فلتضمينه معنى أقر وأعترف وتعديته باللام كما فى قوله تعالى: (أنومن لك واتبعك الأرذلون).[٧] فلتضمينه معنى الاذعان والانقياد...

وقال الغزالى رحمه الله والحق فيه ان الايمان عبارة عن التصديق. قال الله تعالى (وما أنت بمؤمن لنا)[٨] أى بمؤمن والاسلام عبارة من التسليم والاستلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والإباء والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمان، وأما التسليم فانه عام فى القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب فهو تسليم و ترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح...الخ.[٩]

وقلما بدأ العلامة العثمانى بشرح الأحاديث مباشرة بدون تمهيد وذلك فى الأبواب التى لاتحتاج الشرح اما لأن هذه الأبواب معروفة مستغنى عن الايضاح او لم يوجد الاشكال والاختلاف فى كيفيته، ككتاب الحج و كتاب الحيض، واكتفى العلامة على شرح الأحاديث الوارده فيه بغير تعريفه اللغوى والاصطلاحى.

رابعاً:

ونراه فى كثير من المسائل يعرض الآراء المختلفة و يذكر رأى الطرفين دون أن يذكر رأيه الخاص أو يؤيد أحدها وذلك لأنه ليس له رأى خاص فى مثل تلك المسائل وهذا كقوله فى شرح الحديث التالى:

"قوله يتلون كتاب الله رطبا... الخ". قيل المراد الحذف فى التلاوة أى يأتون به على أحسن أحواله و قيل المراد انهم، يواظبون على تلاوته فلا تزال السنتهم رطبة به و قيل هو كناية حسن صوت به حكاها القرطبى و يرجح الأول ما وقع فى رواية أبى الوراك عن أبى سعيد عن مسدد يقرون القرآن كأحسن ما يقرؤه. الناس و يؤيد الآخر قوله فى رواية مسلم عن أبى بكرة عن أبيه قوم اشداء، احداء ذلقة ألسنتهم بالقرآن أخرجه الطبرى.[١٠]

خامساً: مسائل الأبواب

تمتاز خطة الشرح بأنها منطقية فى وضعها و فى تسلسل مراحلها من العنوان المحدد، الى الغرض الواضح، الى السؤال المتتابع، المركز الى الجواب المحلل الشامل، وهذه المسائل عبارة عن مجموعة من الأسئلة المركزة يسوقها العلامة فى كل باب من أبواب الشرح والحق ان للكتاب نفسه أثر بعيد فى ترتيب هذه المسائل و تدرجها. ونقدم بعض نماذج منها:

" أسئلة عن الايمان، هل الاسلام هو الايمان أو غيره؟ هل الايمان يزيد و ينقص.

وجوابها بالاستدلال العقلى والنقلى كحكم الشرع للايمان والاسلام الأعمال من الايمان، و حكم من أقر باللسان ولم يصدق قلبه وغيره.(١١)

وهكذا كان العثمانى يتدرج فى الأسئلة من العام الى الخاص. أو من السؤال عن الأصول وأحكامها الى السؤال. عن الفروع و جزئياتها. ولا شك ان للعقل فى هذا المنهج جهدا و اضحا، وللمنطق فى خطته و تسلسل فقراته أثرا بعيداً.

سادساً: عنوان الأبواب فى كتابه فتح الملهم.

لم يتقيد العلامة العثمانى بعناوين. أبواب كتاب صحيح مسلم التى بوبها الامام النووى فى شرحه. بل كان يأخذ بعضها و يغير بعضها الأخر، كان يذكر منها ما اتضح معناه وظهر الغرض منه، أما ماغمض ودق فكان يبديها بعنوان اكثر وضوحا وأشد دلالة على الباب و كثيرا ما نجد الباب الواحد من الكتاب موزعا على عدة أبواب فى الشرح وهذه الأبواب مهما تتشعب و تعدد ترجع عنده. بتأثير منهج تفكيره العقلى. الى المعنى العام الذى ينظمها جميعا، فهو لا يفتأ يبين فى كل باب بل فى كل مسألة من مسائله صلة هذه المسألة بأصل الباب و كيفية رجوعها الى معناه العام. و سنرى ذلك واضحاً من نموذج عنوان كتابه فتح الملهم والمنهاج فى شرح صحيح مسلم للنووى، مثلا:

عنوان الامام النووى و موضعه فى الشرح	عنوان العلامه العثمانى و موضعه فى الشرح
كتاب الايمان	كتاب الايمان
تعريف الايمان والاسلام	الاسلام هو الايمان أو غيره الحكم الشرعى للايمان والاسلام
تعريف الايمان والاسلام	العمل جزء من الايمان أم لا؟
..	الاقرار باللسان شرط للايمان لا؟
..	حكم من أقر باللسان ولم يصدق بقلبه
..	توجيه أقوال السلف رحمهم الله فى جزئية الاعمال من الأيمان
..	هلا الايمان يزيد و ينقص؟(١٣)
الايمان يزيد و ينقص(١٢)	

سابعاً:

وأما الشواهد فقد أولاها العلامة عناية ظاهرة، يناقشها، و يستدرك الرواة والعلماء فيها يتحرى صحة نسبتها ووجه روايتها. وكانت طريقته فى تحقيق الروايات والشواهد على طريقة علمية قائمة على التثبت والنقد. فهو يعنى بالمصدر الذى نقلت عنه الرواية، و عناية العثمانى بالمصادر واضحة فى جميع ما ينقل اذ لا يروى قولا ولا يورد رأيا لعالم من العلماء الا ذكر مكان الرأى فى كتب ذلك العالم، واذا نقل رأيا عن سواء تحرى صحته و صدقه حتى يصل فى أمره الى حكم يؤيده و يقويه أو يبعده و طريقته لتبيين المصادر هى التالية:

١. احيانا يذكر اسم المؤلف واسم الكتاب كمرجع بدون ذكر الصفحات مثل قوله:

"جاء فى عقود الجواهر المنيقة للعلامة السيد مرتضى الزبيدى".(١٤)

٢. أحيانا يستعمل لفظ صاحب بدل اسم المؤلف مثل قوله:

"قال صاحب التنقيح" (أى ابن الجوزى)(١٥)وقوله "قال صاحب الكشف"(١٦) و "قال صاحب المواهب"(١٧):

٣. أحيانا يذكر اسم الكتاب و مؤلفه و موضوع البحث كقوله: "قال ابن مطهر الحلى فى نهاية الوصول فى البحث الحادى عشر فى نقل الحديث بالمعنى.[١٨]

٤. احيانا يذكر المراجع مع تثبيت رقم الصفحة والمجلد كما ذكر:

" فتح البارى ج٩، ص ١٤٣"[١٩] و" عقد الجيد للشاه ولى الله، ص٣٢[٢٠] و "كنزالعمال" ج٧، ص٢٦٨[٢١] و "توحيد النظر" ص ٢٩.[٢٢]

٥. وغالبا يذكر المرجع بدون تحديد الصفحة واسم المؤلف و يكتفى باسم، الكتاب فى نهاية قوله و مثال ذلك قوله:

"كذا فى شرح المشكاة "[٢٣] و "كذا فى عمدة القارى"[٢٤] و "كذا فى الطبقات الشافعية".[٢٥]

٦. أحيانا يكتفى على لقب المولف فقط مثل:.

" قال شيخ الاسلام"، والخطيب، و "فخر الاسلام، و "البلقينى".[٢٦]

٧. أحيانا ينقل العبارة الطويلة من الكتاب حينما يذكر مسألة مبهمة من كتاب واحد فيذكر فى نهايته المرجع كقوله: " هذا ما أردنا نقله من كلام الغزالى فى هذا المختصر فمن أراد استيفاء وجوه المسئلة فعليه بالمستصفى وغيره من كتب الأصول.[٢٧]

٨. أحيانا يذكر أقوال شيوخه بدون تحديد الاسم، بمثل قوله: "شيخنا"[٢٨]

٩. أحيانا بشير الى أسماء الكتب عن مناسبة الموضوع باضافة المراجع لكى يستفيد القارىء، استفادة كاملة مثل قوله: "فى تعريف المطلوب فذكر مفهوم المقلوب بالأمثلة وأشار الى الكتب عن المقلوب وقال: "ان ابا حاتم له كتاب فى خطأ البخارى فى تاريخه، كما صنف الخطيب فى هذا النوع كتابا سماه "رافع الارتياب فى المقلوب من الأسماء والأنساب".[٢٩]

١٠- أحيانا يذكر الاصطلاح بدل اسم المؤلف المحدد كعلماء الأصول والفقهاء" او "الشافعية"، أو "الحنفية"، أو "الجمهور"، أو " الظاهرية" أو المحدثين "و مقصوده من ذلك الى عقيدتهم او منهجهم، مثل قوله: قال العلماء"[٣٠]، أو "قال شراح صحيح مسلم"[٣١]

١١- أحيانا ينبه الى ختام ما أخذ بقوله "انتهى المرجع" مثل قوله عندما ذكر رأى ابن حجر من كتابه " نكت على ابن الصلاح، فقال: "انتهى كلام ابن حجر فى النكت"[٣٢].

١٢- أحيانا، يورد اشعارا باللغة الفارسية والعربية بمناسبة الموضوع، وقليلا ما يذكر اسم الشاعر و غالبا لايذكر، مثل قوله:

صدق من قال: وعين الرضا عن كل عيب قليلة
ولكن عين السخط تبدى الماويا[٣٣]

وكقوله:

ولله در الشاعر الفارسى:

چشم بداندیشن که پرکنده باد
عیب نماید هنرش در نظر[٣٤]

وأحيانا يذكر اسم الشاعر مثل قوله: "قال أبو العتاهية":

بكى شجره الاسلام من علمائه
فما اكترثوا لما رأوا من بكائه[٣٥]

١٣- وحينما بذكر رأيه الخاص يخاطب نفسه و يذكر لفظ "قلت".[٣٦] أو قال لعبد الضعيف[٣٧]، أو يظهر للعبد الضعيف.[٣٨]

١٤- وينبه أن يكون عبارة معروفة أو مصحفة أو مزيفة فيكتب كما كتبه المؤلف لكن يذكر فى الحاشية كذا فى الأصل و صحيح هذا، و مثال ذلك:

كذبتم و بيت الله يبزى محمدا

ولما نقاتل حوله و تناضل

قال العلامة العثمانى عن هذا الشعر: "كذا فى الفتح والصحيح يبزى محمد بالياء المضمومة والزاء المفتوحة بالبناء على المفعول كما فى تاج العروس و شرح المواهب.(٣٩)

وهكذا لوسقطت الألفاظ من العبارة أو وقع الخلل فهو ينبه على ذلك و مثال ذلك قوله فى العبارة عن مسألة قراءة الفاتحة هل من واجبة على الماموم أم لا؟ وأقوال الأئمة فى ذلك ، وبعد ما ذكرها فقال: "هكذا فى الأصل ولعل فى العبارة سقطاً و خللا.(٤٠)

فتظهر عناية العلامة العثمانى و دقته و تفكيره و تعمقه فى الأبحاث من هذه الأمثلة و نرى أنه يتحرى لاثبات الروايات والشواهد الى حده و يذكر رأيه ان له رأى خاص أو نظر فيه.

١٥. سلك شبير أحمد العثمانى فى شرحه مسلك المحدثين القدماء فاستعمل اصطلاحاتهم للمراجع والمصادر، سنوضح بعض ألفاظه التى استعملها فى شرحه لتسهيل الفهم على القارى العام اطلاق هذه الاصطلاحات كنموذج فقط، ومنها مايلى:

(١) لفظ أستاذنا: فالمراد به استاذه شيخ الهند محمود الحسن الديوبندى سنة ١٩٤٠م.

(٢) لفظ التدريب: فاذا قال كذا فى التدريب، فالمراد به تدريب الراوى فى شرح تقريب النووى للعلامة جلال الدين السيوطى.

(٣) لفظ التذكرة: فاذا أطلق، فالمراد به تذكرة الحفاظ للذهبى.

(٤) لفظ التقريب: فاذا أطلق هذا اللفظ، فالمراد به تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلانى.

(٥) لفظ التلخيص: فاذا قال كذا فى التلخيص، فالمراد به التلخيص الخبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير للحافظ ابن حجر العسقلانى.

(٦) لفظ الجزرى: فاذا قال: قال الجزرى، فالمراد به الامام العلامة سعد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير الجزرى المتوفى ٦٠٦هـ.

(٧) لفظ الحافظ: فاذا أطلق العثمانى وقال: قال الحافظ، أو عند الحافظ مثلا، فالمراد به الحافظ ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ.

(٨) لفظ الخطيب: فاذا أطلق هذا اللقب، فالمراد منه الحافظ أبوبكر الخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٢هـ.

(٩) لفظ الخلاصة: فالمراد به خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للعلامة الحافظ صفى الدين بن أحمد بن عبدالله الخزرجى.

(١٠) لفظ شرح مسلم: فاذا قال كذا فى شرح مسلم، أوجاء فى شرح مسلم، فالمراد به المنهاج فى شرح صحيح مسلم للنووى.

(١١) لفظ شيخنا: فالمراد به الشيخ أنورشاه الكشميرى المتوفى عام ١٣٥٢هـ.

(١٢) لفظ شيخ الاسلام: فاذا أطلق هذا اللقب، فالمراد به شيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ.

(١٣) شيخنا واصحابنا: فالمراد به الشيخ الحنفيون واصحابهم.

(١٤) الشيخ الكبير والاكبر: فاذا اطلق هذا اللقلب. فالمراد به الشيخ الاكبر ابن العربى المتوفى سنة ٢٣٨هـ.

(١٥) لفيظ شيخ شيخنا: فالمراد به الشيخ محمد قاسم النانوتوى المتوفى عام ١٨٨٠م.

(١٦) لفظ العراقى: فاذا اطلق اللقلب. فالمراد به الحافظ زين الدين العراقى الفقيه المتوفى سنة ٨٠٦هـ.

(١٧) لفظ العمدة: فاذا قال العلامة كذا فى العمدة او قال العينى فى العمدة مثلا. فالمراد به عمدة القارى. فى شرح صحيح البخارى للعلامة بدر الدين العينى.

(١٨) لفظ العينى: فالمراد من هذا اللقلب العلامة بدر الدين العينى الحنفى المتوفى ٨٥٥هـ.

(١٩) لفظ الفتح: فاذا قال كذا فى الفتح، او قال الحافظ فى الفتح مثلا، فالمراد به فتح البارى فى شرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر العسقلانى.

(٢٠) لفظ فخر الاسلام: فاذا اطلق هذا اللقلب، وقال: قال فخر الاسلام فالمراد منه فخر الاسلام البزدوى المتوفى سنة ٤٨٢هـ.

(٢١) لفظ القارى: واذا اطلقه وقال قال القارى. مثلا، فالمراد به على ابن سلطان الهروى القارى. المتوفى سنة ١٠١٤هـ.

(٢٢) لفظ القاضى: فاذا اطلق هذا اللقلب وقال قال القاضى. فالمراد منه القاضى عياض المالكى المتوفى ٥٤٤هـ.

(٢٣) لفظ الكشف: فاذا اطلق وقال كذا فى الكشف الظنون من اساس الكتب والفنون، للعلامة ملا كاتب حلبى.

(٢٤) لفظ المجمع: فاذا قال كذا فى المجمع مثلا، فالمراد به مجمع بحار الانوار للعلامة محمد طاهر بن على الهندى الپتنى المتوفى سنة ٩٨٦هـ.

(٢٥) لفظ المرقاة: فاذا قال كذا فى المرقاة. فالمراد به مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلى بن سلطان محمد الهروى القارى.

(٢٦) لفظ المغنى: فاذا قال كذا فى المغنى او قال صاحب المجمع فى المغنى فى ضبط اسماء الرواة للعلامة محمد طاهر بن على الهندى.

(٢٧) لفظ النهاية: فاذا قال كذا فى النهاية. فالمراد به النهاية فى غريب الحديث والاثر للعلامة مجد الدين ابن الاثير الجزرى.

مذهب العلامة العثمانى خلال شرحه:

لقد كان العلامة العثمانى فى شرحه ذا نزعة حنفية فى آراء ه ومنهجه فهو اذا ذكر الحنفيين قال عنهم اصحابنا وائمتنا وشيوخنا.

ممّا لا شك فيه أن وقوف العلامة العثمانى الى جانب الحنفيين وأخذه بأرائهم واضح فى جميع ابواب الكتاب و مثال ذلك فى المجلد الاول اورد ترجمة للامام ابى حنيفة النعمان رحمه الله.(٤١) وفى باب صفة الاذان ذكر بيان مذاهب الائمة فى الترجيح، بالشهادتين والانتصار لما هو المختار عند الحنفية.(٤٢) وفى باب التسبيح والتحميد والتأمين ذكر ايضا ما اختاره الحنفية رحمهم الله.(٤٣) وفى كتاب صلاة العيدين ذكر أقوال الأئمة فى عدد التكبيرات فى صلاة العيدين وكيفيتها والدليل على ماهو المختار عند الحنفية.(٤٤) كما ذكر فى كتاب الصيام فى باب بيان ان لكل بلد رؤيتهم وانهم اذأ رأو الهلال بلد لايثبت حكمه لما بعد عنهم فذكر مذاهب العلماء فى ذلك وتحقيق ماهو المختار عند الحنفية.(٤٥) واذا ذكر آرائهم أبدها ودافع عنها ونصرها على آراء المذاهب الاخرى.

المراجع والمصادر التى رجع اليها صاحب كتاب فتح الملهم فى تصنيف كتابه:

ان أحد مقاييس جودة بحث من الأبحاث ترجع الى درجة بأهمية مصادر ذلك البحث ومراجعه كما أن تمحيص رأى بنفيه او تأكيده تحتاج الى أدلة، والى أشباه يقاس عليها ونحو ذلك، وهنا تأتى، أهمية المصادر، والمراجع، فى التوصل الى عمليات التمحيص أو القياس أو نحوه وبرغم أن شبير احمد العثمانى موضوع هذا البحث كان واحدا من العلماء الموثوق بهم الحافظين للأحاديث المحققين لها. غير أنه التزم فيما كتب عن صحيح مسلم بذكر المصادر والمراجع للاستدلال منها وأخذها شواهد على ماذهب اليه من آراء أو معارضته لرأى أو تأئيد. لرأى آخر ذاكراً أوجه الخلاف والتشابه بينهما والمفاضلة بين كل ذلك، فالمصادر والمراجع

لديه كانت مفتاح المقارنات التى كثيرا مالجأ اليها ليصل إلى مايريد أن يصل إليه فى دقة، تحقيقه لصحيح مسلم. كما أنه ذكر أقوال المحدثين والمفسرين والنحويين واللغويين والمؤرخين والفقهاء فى شرحه والأخذ من كتبهم المعروفة ولم يكتف العلامة بكتب الحديث المعروفة لتعينه على شرح الحديث فقط بل شرح كثيرا من المسائل من كتب خاصة وجد فيها دلالة عما يريد التحدث.

خصائص فتح الملهم:

شرح شبير احمد العثمانى صحيح مسلم هو شرح الوحيد الأكثر تداولا بين أيدى الناس. اذ تقبله العامة والخاصة من العرب والعجم. فما سبب التعرف عليه. وكيف ذاع صيته فى الآفاق، وما أسباب ذلك وما سبب كثرة الأمثال عليه والتعرف عليه. وهل هو الشرح الوحيد لصحيح مسلم الذى ألف فى القارة الهندية؟ تلك أسئلة كثيرة فى حاجة للأجابة عليها أجابة واضحة وسأحاول أن القى الضوه على الجوانب المهمة فى الكتاب حتى تتضح أهميته.

اما بالنسبة لشهرة الكتاب فهى:

اولا: ان صحيح مسلم واحد من الصحيحين. وبعتمد الناس عليه فى المسائل الشرعية فليس من الممكن اهمال شرحه لتوضيح المسائل الشرعية والفقهية المختلفة للمسلمين ومن هنا يهتم الناس بكل ما يؤلف حوله فا هتموا بمؤلف شبير احمد العثمانى.

ثانيا: هذا الشرح ينسب الى عالم كبير ومحدث عظيم ومستند ذى قدرة على البيان ومتمكن من الكتابة. ومحقق متعمق وهو شبير احمد، العثمانى الذى ذاع صيته فى شبه القارة الهندية واعترف العلماء وعامة الناس بمكانته العلمية والأدبية. اذن فليس العجيب أن يقبل الناس على هذا الشرح الجليل.

ثالثا: ان هذا هو الشرح الوحيد الذى الف فى شبه القارة الهندية باللغة العربية

فى ذلك الوقت على يد محدث من دار العلوم الديوبندية ولدار العلوم تلك مكانة مرموقة فكانت سببا فى شهرة هذا الشرح وذيوعه لأنها هى المدرسة الوحيدة التى تخدم المسلمين فى مجال دينهم، وسياستهم واعترف الناس بخدماتها العربية والسياسية. إذن تهيأت كل الأسباب لشهرته وانتشاره وذيوع صيته فزاد الاقبال عليه من الأساتذة وطلاب العلم من هذه الدار وزاد طلبهم لهذا الشرح بالاضافة الى منسوبى فروع دار العلوم الديوبندية الموزعة فى العالم الذين تسببوا زيادة شهرته والإقبال على اقتنائه.

رابعا: توجد خصائص ومميزات لهذا الشرح كانت من أسباب شهرته سنتناول هذه الخصائص لكى نوضح أمام القارى صورة واضحة عنها:.

اولا: كتب المؤلف مقدمة عن أصول علوم الحديث فى بداية الكتاب لكى يعرف القارى... اصطلاحات الحديث قبل فهم شرحه... لتسهيل فهم العبارات والمصطلاحات.

ثانيا: ألف الشارح هذا الشرح فى ضوء مذهب الحنفية وبين خلال شرح الحديث مذهبهم وموقفهم ـ ـ الحنفيون عليه لإستدلال على مذهبهم ومعرفة الأراء الصحيحة فى المسائل المختلفة. ويعتبر هذا الشرح للحنفين كمرجع فى مسائل الحديث.

ثالثا: لم يهمل الشارح أمرا يتعلق بالحديث فى كلها بل وفاه حقه من التحقيق والتوضيح. فاستوفى ضبط الأسماء والكلام عن الرجال والجرح والتعديل وشرح الغريب وتحقيق مواضع اورد عليها بعض أئمة هذا الشأن. ومثال ذلك كقوله فى ضبط الاسماء (أى أسماء الرواة).

(الف) حدثنا غندر الشيخ: ج الغندر بضم الغين المعجمة واسكان النون و فتح الذال المهملة هذا هو المشهور فيه وذكر الجوهرى فى اصحابه، انه يقال بفتح الدال.

وضمها واسمه محمد بن جعفر الهذلى مولاهم البصرى ابو عبدالله و قيل أبوبكر و غندر لقب لقبه به ابن جريج... الخ.(٤٦)

(ب) أما الكلام عن الرجال فيوضح اسم الراوى و كنيته و لقبه، ومثال ذلك: قوله أخبرنى أبو حزرة ... الخ. ببا مهملة، مفتوحة، ثم زاى ساكنة ثم راء اسمه يعقوب بن مجاهد المذكور فى الاسناد الأول و يقال كنيته، أبو يوسف، وأما أبو حزرة فلقب له، والله أعلم....(٤٧)

(ج) كما يذكر حالات مهمة عن الراوى و ترجمته مجملا و مثال ذلك قول عن راوى معيقيب "قوله عن معيقيب... الخ، معيقيب بضم الميم و فتح العين المهملة و سكون الياء، آخر الحروف و كسر القاف بعدها باء موحدة ابن أبى فاطمة الدوس خليفه بنى عبد شمس، أسلم قديما، كان على خادم رسول اللهﷺ واستعمله الشيخان على بيت المال...الخ.(٤٨)

(د) وأيضا لم يهمل عن الجرح والتعديل عند الضرورة ومثال ذلك قوله:

" ... يزيد بن أبى زياد الخ " فى شرح مسلم وأما يزيد ابن أبى زياد فيقال فيه أيضا يزيد بن زياد وهو قرشى دمشقى قال الحفاظ هو ضعيف، قال ابن نميرويحيى بن معين ليس هو بشىء وقال أبو حاتم ضعيف وقال النسائى متروك الحديث وقال الترمذى ضعيف فى الحديث كذا قال النووى و غيره، وأنا أظن والله تعالى أعلم ان مسلما رحمه الله لم يعنى هنا هذا القرشى الدمشقى بل هو يزيد بن أبى زياد الكوفى صاحب حديث الرايات السوء أحد علماء الكوفة المشاهير على سوء حفظه ... الخ.(٤٩)

(هـ) وأما تحقيق اللفظ والاختلاف الوارده فيه فيذكره بالاستدلال و مثال ذلك قوله عن عيشتهم حينما، يوضح نقط "عيشتهم" بالتحقيق من النسخ الأخرى لصحيح مسلم فقال:

" قوله و عيشتهم...الخ"، وكذا فى النسخة المصرية التى بأيدينا وفى سائر النسخ الهندية والمصرية وكذا فى مجمع البحار فى مادة حوش، فلعلّ علقمة أراد بالقوم الصحابة وما كانوا عليه التحوش والهيئة الحسنة، والله سبحانه و تعالى أعلم بالصواب".(٥٠)

(و) كما لم يترك ألفاظا غريبة للحديث بدون الشرح والايضاح ومثال ذلك قوله فى شرح "شرار الخلق" فقال:

" قوله أولئك شرار الخلق... الخ." بكسر المعجمة جمع الشر كا لخيار جمع الخير والبحار جمع البحر وأما الأشرار فقال يونس واحدها شر أيضا وقال الأخفش شرير مثل يتيم وايتام...الخ.(٥١)

أما تحقيق اللفظ فيوضح اللفظ معنى واصطلاحا لكن لا يكون اشكال فى فهم الحديث ومثال ذلك شرحه للفظ ختنة فى حديث عائشة (رضى الله عنها).

"ختنة رسول الله" بفتح الخاء والتاء. المثناة من فوق و معناه قرابة زوج النبى ﷺ. قال أهل اللغة الأختان جمع ختن وهم أقارب زوجة الرجل والارحام اقارب المرأة والاصهر الجميع".(٥٢)

كما يوضح اشتقاق اللفظ أحيانا و يعطى رأيه الخاص أن فيها اختلاف مثال ذلك فى لفظ الصلاة.

قال العثمانى: "قال صاحب اكمال المعلم الصلاة عرفة قيل هى مشتقة من الصلاة بمعنى الرحمة و قيل من الصلة لأنها صلة بين العبد و ربه وقيل من صليت العود على النار اذا قومته لانها تقوم العبد على الطاعة كما قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر....الأية.

ذكر العلامة آراء العلماء والادباء ثم ذكر رأيه الخاص بقوله:

"قلت لايصح اشتقاقها من الصلة لأن معللة الفاء لانها مصدر وصل والصلاة معتلة اللام ولا من صليت العود لأن صليت من ذوات الياء وهى من ذوات

الواو ولا من المصلى لأنه اشتقاق من الفروع لأن المصلى من الصلوين لأنه اشتقاق من الجوامد الا أن يجعل اشتقاقتها من شيء من ذلك اشتقاق اكبر.(٥٣)

رابعاً- شرح الأحاديث بغاية من الاتزان لم يترك بحثا فقهيا من غير تمحيصه بل سرد أدلة المذاهب فى المسائل و مثال ذلك بحث فى مسألة نهى استقبال القبلة أو استدبارها فى الحديث "حدثنا أبو ايوب أن النبيﷺ قال اذا أتيتم الغائط فلاتستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ببول أو غائط فوضح العلامة المسألة فى ضوء أقوال الفقهاء بالا ستدلال النقلى، فقال: اختلف العلماء فيه على قول كراهة الاستقبال والاستدبار فى القضاء" والبناء تحريصاً وهو مذهب أبى حنيفة و احدى الروايتين عن أحد وإباحتها مطلقا وهو مذهب أبى حنيفة واحدى الروايتين عن احمد وأباحتها مطلقا وهو مذهب داؤد الظاهرى... الخ.(٥٤)

خامسا: وقد كان حرص العلامة على تقريب كلام الأئمة والفقهاء لتهون الاختلاف الفرعية والشجرية وشرح ما ستغلق منه سبباً فى تنويع الوسائل والسبل التى اتخذها لتلك الغاية واول ذلك انه جعل كلامه سهل العبارة واضح الدلالة وأنه أ ب فى الشرح واكثر من ضرب الأمثلة بالأيات القرآنية والأحاديث ومثال ذلك شرحه فى مسألة رفع اليدين حينما ورد فى الحديث روايتين لرفع اليدين وتركه فالعلامة شبير احمد العثمانى ذكر روايتين وأقوال العلماء والفقهاء واستدل بكل منها واستنتج منها بقوله:

"قلت: فاذا أثبت الأمران من النبيﷺ والصحابة والتابعين وتبعهم رفع اليدين وتركه فزينة الصلاة الترك الذى هو السكون لا الرفع فبهذا يترجح ماذهب اليه الأحناف رحمهم الله تعالى... الخ.(٥٥)

سادسا: وكم ردفى شرحه هذا على ضعف أهل الزيغ وله قدم راسخة فى ردوده على المخالفين كما توجه الى ازالة شبهات العصر الحديث ومثال ذلك فى

الحكم الشرعى للاسلام والايمان، فعند ذكر الايمان والاسلام رد على عقائد الخوارج والمعتزلة التى هى.

"قال الحافظ ابن تيمية مما ينبغى أن يعرف أن القول بتخليد أهل الكبائر فى النار فان هذا القول من البدع المشهورة وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد فى النار أحد ممن فى قلبه مثقال ذرة من الايمان... الخ."(٥٦)

سابعا: أحيانا ينقد آراء العلماء لووجد فيها نقص أو عدم الصواب فى رآية ومثال ذلك قول الامام النووى فى شرح ترجمة أبى عقيل صاحب بهيّة فقال العثمانى عنه.

"ابو عقيل صاحب بهيّة" ابو عقيل بفتح العين و بهيّة بضم الباء الموحدة وفتح الهاء وتشديد الياء وهى امراة تروى من عائشة أم المؤمنينؓ قيل انها سمتها بهية ذكره أبو على الغسانى فى تقييد المهمل وروى عن بهيّة مولاها ابو عقيل المذكور واسمه يحىٰ بن المتوكل الضرير المدنى... الخ.(٥٧)

وهكذا العثمانى لم يهمل من الجرح والنقد كما سبق فى مثالين فى النقد على الامام مسلم(٥٨) والنقد على الامام النووى أيضا على غير إصابته فى الصواب عن الراوى.(٥٩)

ثامنا: ويعرض اكثرَ مضامين الأحاديث ومأخذه من القرآن الكريم لاستيعاب المسائل و تقريبها الى الفهم ومثال ذلك فى شرح الحديث ولا يملأنفس ابن آدم الا التراب والله يتوب على من تاب. فوضح هذا الحديث من الآيات القرآنية فقال:

" قوله الا التراب! أى تراب القبر ففيه تنبيه نبيه على أن البخل المورث للحرص مركوز فى حيلة الانسان كما أخبر الله تعالى سبحانه عنه فى القرآن الكريم حيث

قال أبلغ من هذا الحديث والمقال (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا".(٦٠)

تاسعا: واذا كان من عادة الشراح أن يتقيدوا بما ورد فى النص الذى يشرحونه و يقصروا كلامهم عليه فان العلامة لم يكن كذلك، وانما كانت غايته الى جانب السرج والتقريب أن يستقصى المعانى ويستوعب الموضوع ولذلك نراه يأتى فى شرح الكتاب بأشياء كثيرة لم تأت فى (صحيح مسلم) وورد فيه، أراء كثيرين ممن جاء وا بعد مسلم، مثال ذلك انه ذكر فى قوله " ان ننكح المرأة بالثوب" مذهب الامام مسلم و شرحه ثم زاد فذكر حديث شبرة عند ابن جرير وأشار الى هذا الحديث فى الكنز العمال وأحكام القرآن و غيرها من الكتب المعتبرة ثم ذكر مما أخرجه الترمذى و غيره و شرحها فيمن يقول عن المتعة.(٦١)

عاشرا: أدى المؤلف فريضة التحقيق والتنقيح فى المسائل والفنون فذكر المسألة مهما تتعلق بأى فن فهو يستدل من كتب نفس الفن ان تتعلق المسألة بالفقه فيستدل من كتب الفقهيه وبآراء الفقهاء وان كانت مسألة تتعلق بالحديث فهو يستدل بكتب الحديث والمحدثين وهكذا فى جميع الفنون والمسائل ونكتفى على مثال واحد فى تحقيقه وتنقيحه هو فى اسم الله " جل جلاله، فقال العلامة فى شرحه ما يأتى:

"قوله. الحمدلله" هذه الجملة كما أفاد الشيخ إبن الهمام اخبار صيغة انشاء معنى كصيغ العقود ومعنى الحمد معروف وللناس عبارات شتى فى بيانه لايخلو بعضها من نظر من بحث فيطلب مع بيان الفرق بين الحمد والشكر والمدح فى خطاتها اذ لا حاجة بنا هنا الى الاطناب بها ثم من المعلوم ان الاسم الجليل اعنى الله خاص بواجب الوجود الخالق للعالم. المستحق لجميع المحامد بل هو أخص أسمائه الحسنى والصحيح انه عربى كما عليه عامة العلماء لأنه عبرى أوسريانى كما

ذهب إليه أبوزيد البلخى... الخ.[٦٢]

احدى عشر:

هذا الشرح لم يكن خالياً من الوقائع التاريخية حينما يحتاج القارىء لها مثال ذلك أن المؤلف ذكر الخوارج فذكر أولا سبب تسميتهم بهذا الاسم ثم ذكر واقعة الخوارج وافكارهم وغيرها، فوضح العثمانى هذا فى شرح حديث أبى سعيد الخدرى عن الحرورية فقال:

"قوله عن الحرورية"، هم الخوارج جمع خارجة أى طائفة وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدين و خروجهم على خيار المسلمين وأصل ذلك أن بعض أهل العراق انكروا سيرة بعض أقارب عثمان فطعنوا على عثمان بذلك وكان يقال لهم القراء لشدة اجتهادهم فى التلاوة والعبادة الا انهم كانوا يتأولون القرآن على غير المراد منه و يستبدون برأيهم و يتنطحون فى الزهد والخشوع و غير ذلك فلما قتل عثمان قاتلوا مع على واعتقدوا كفر عثمان و من تابعه واعتقدوا امامة على "وكفر من قائله من أهل الجمل الذين كان رئيسهم طلحة والزبير فانهما خرجا الى مكة بعد أن بايعا علياً فلقيا عائشة وكانت حجة تلك السنة فاتفقوا على طلب قتلة عثمان وخرجوا الى البصرة يدعون الناس الى ذلك فبلغ عليا فخرج اليهم فوقعت بينهم وقعة الجمل المشهورة وانتصر على وقتل طلحة فى المعركة وقتل الزبير...الخ[٦٣]

اثنا عشر:

جمع الشارح روايات مختلفة وتحقيقات منتشرة من الكتب المستندة والمعتمدة فى المسائل من جميع جوانبه فى مكان واحد و مثال ذلك كتاب النكاح ومسألة المتعة و غيرها فذكر العلامة فى هاتين المسألتين أراء الفقهاء والمحدثين ورواياتهم وآراء العلماء عنها و تحقيق لفظ النكاح والمتعة من الناحية اللغوية

والاصطلاحية وغير ذلك.

ثلاثة عشر:

ذكر فيها مباحث صوفية واستفاد فيها من كتب أسرار الشريعة كفتوحات للشيخ الأكبر وحجة الله البالغة للشاه ولى الله الدهلوى، وآراء الصوفية كجنيد البغدادى و حسن البصرى والسهروردى (رحمه الله عليهم) وغيرهم.

أربعة عشر:

ذكر فيها روايات منقولة من أساتذته و شيوخه وأفكارهم من كتبهم التى ألفت باللغات الأجنبية كالاردية والفارسية والهندية وكما ذكر أفكار أساتذتهم وآرائهم الشفهية عن المسائل التى سمع منهم خلال ملازمته معهم و معاصرتهم بالايضاح والتفصيل ويعترف العلامة بنفسه، كما فى مسألة الخوارج قال:
ونبه عليه(أى مسألة الخوارج) شيخنا المحمود قدس الله روحه فى دروس البخارى"(٦٤)

واسلب فيها اسلوبا سهلا و بسيطا و امتزج اسلوبه بايراد الدلائل النقلية والعقلية.

خمسة عشر:

ذكر مراجع و مصادر فى موضع الاشكال المهمة كما سبق ذكره.

و جملة القول فى العلامة و شرحه، أنه شرح كتاب صحيح مسلم فبسط معناه و جلا مبهمة وتم جزئياته و استقصى موضوعاته، كما يظهر من اسمه فتح الملهم وعرض آراء العلماء والفقهاء والمحدثين والآيات القرآنية والأحاديث و ناقش بعضها وبسط أوجه الخلاف فيها، ووازن بين آراء اهل السنة والجماعة و غيرهم موازنة عرض حيادى أحيانا لم يكن له فيها رأى و موازنة ايجابية أحيانا أخرى. أسهم فيها بحجته ورأيه وكان فى كل ذلك واضح العبارة طويل النفس كثير

النقاش والجدال.

سادسا: موازنة بين فتح الملهم والمنهاج فى شرح صحيح مسلم.

على الرغم مما ذكرنا عن شرح العلامة العثمانى من أنه فريد فى اسلوبه ومنهجه فان الموازنة بينه و بين شرح النووى تقفنا على كثير من الصفات التى يشترك فيها هذا الشرحان كما تقفنا على الصفات التى يتفرد بها كل منهما يتفق شرحا العثمانى والنووى فى الغاية التى يهدفان اليها ويختلفان فى الطريقة التى اتبعاها التحقيق تلك الغاية، يتفقان فى أنهما يشرحان صحيح مسلم كما يتفقان فى تقديم المقدمة قبل الشرح لصحيح مسلم والعناوين المناسبة بموضوع الكتاب و ضبط أسماء الرواة والجرح والتعديل و توضيح معانى الألفاظ اللغوية وأسماء الرجال و ضبط المشكلات والاختصار فى موضع الاختصار والبسط فى موضع البسط سبق الأمثلة فى منهج النووى والعثمانى فى شرحيهما.(٦٥)

و يشترك شرح العثمانى والنووى فى نقل آراء العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين المتقديمين والاستنباط من الكتب المعروفة المستندة فى الفنون المختلفة سبق الأمثلة أيضا.(٦٦)

ويتفق الشرحان فى التدقيق فى نص الكتاب وذكر ما جاء فيه من سهو أو غلط أو نقص، فقد فعل العثمانى ذلك حين نبه على غلط فى شرحه على موضوع أسماء من رمى ببدعته من أخرج لهم البخارى و مسلم "فى قوله" اسم عبدالحميد بن عبدالعزيز" فقال كما سبق: " هكذا فى الأصل أى عبدالحميد ابن عبدالعزيز والصحيح عبدالمجيد بن عبدالعزيز كما فى التهذيب".(٦٧)

كما النووى نبه على غلط فى شرحه، عن موضوع " كراهة الشروع فى النافلة، بعد شروع المؤذن فى الاقامة " فى قوله (أى الامام مسلم) "قال اللعنبى عبدالله بن مالك ابن بحينة عن أبيه قال ابو الحسن قوله عن ابيه فى هذه الحديث

خطأً" فقال: أبو الحسين هو مسلم صاحب الكتاب وهذا الذى قال مسلم هو الصواب عند الجمهور و قوله عن أبيه خطأ، وانما هذا الحديث على رواية عبدالله عن النبى ﷺ وهو عبدالله بن مالك بن القشب".(٦٨).

واتفق العثمانى والنووى فى الاختصار عند التكرار و يكتفيان على القول سبق ذكره ومثال ذلك ذكر العلامة العثمانى فى باب الاستطابة عن موضوع استدبار القبلة واستقبالها عند الغائط فى شرحه عن قوله (أى الامام مسلم) كما سبق، "ولاتستدبروها"، فقال: اختلف العلماء فيه على أقوال كراهة، الاستقبال والاستدبار فى القضاء والبناء تحريما و هو مذهب أبى حنيفه واحدى الروايتين عن أحمد واباحتها، مطلقا و هو مذهب داود الظاهرى و تحريمها فى القضاء دون البناء و هو مذهب الشافعى و مالك رحمهم الله وأقوال أخرى ذكرها الشوكانى فى نيل الاوطار و صاحب الكفاية من الحنيفة وأطال الشوكانى فى الاستيعاب أدلة كل مقالة منها قال الحافظ ابن القيم فى الهدى وأصح المذاهب فى ذلك أنه لا فرق فى ذلك بين الفضاء والبنيان لبضعة عشر دليلا قد ذكرت فى غير هذا الموضوع.(٦٩)

هكذا اجتنب العثمانى من إعادة هذه الدلائل وتكرارها واكتفى على القوى "قد ذكرت فى غير هذا الموضوع"، كما استخدم النووى "تقدم بيانه" عند التكرار و مثال ذلك عندما ذكر أسماء الرواة فى سند الحديث عن "بيان الوسوسة، فى الايمان"فقال:

" فيه ابن أخى ابن شهاب وهو محمد بن عبدالله بن مسلم بن عبيدالله ابن عبدالله بن شهاب أبو عبدالله و فيه يعقوب الدورقى تقدم بيانه فى شرح المقدمة و فيه عبدالله الروس هو عبدالله بن محمد وقيل ابن عمر البغدادى و فيه جعفر بن برقان بضم الموحدة و بالقاف تقدم بيانه فى المقدمة والله أعلم.(٧٠)

وأما أوجه، الاختلاف بين الشرحين فكثيرة، منها:

أولا: أن النووى لم تتبع فى شرحه، خطة واحدة منطقيه تدرج بالاسئلة والجواب عنها، وانما كان يتنوع الأساليب وفق طبيعة الباب الذى يشرحه كما رأينا على حين العلامة العثمانى رحمه الله وضع خطة واحدة تقيد بها فى جميع أبواب الشرح وهو أنه يبدا بشرح الألفاظ اللغوية، والاصطلاحية وأحكام المسائل وفوائدها ثم اصدار الحكم عليها بالاستدلال العقلى والنقلى، وطريقتها منطقى فى البيان.

ثانيا: وكان العلامة العثمانى، يجمع تحقيقاته حول مسألة من جميع النواحى فى مكان واحد مثال ذلك النكاح والايمان بينما كان الامام النووى يوزع ولا يتقيد بالتجميع حين شرح الأحاديث المختلفة فى أبوابها.

ثالثا: قدم الامام النووى فى صدر اكثر الأبواب عنوان ما يسميه بترجمة الباب فى ايجاز بينما العلامة العثمانى يجزىء، فيوضح هذه الأبواب بعناوين جديدة بالاضافة الى عنوان الامام النووى بل و تغييره أحيانا، كما سبق الأمثلة"(٧١)

رابعا: اختلف الشارحان فى مذهبيهما وهو ان شرح الامام النووى يقدم منهج الشافعية يؤيد مذهبه أما شرح العلامة، العثمانى يعرض مذهب الحنيفة و يؤيد منهجه و مذهب الحنفية واضح فى كل الأبواب فى المسائل الفقهية وقد سبقت الأمثلة أيضا على ذلك.(٧٢)

خامسا: كتب العلامة العثمانى مقدمة طويلة مهمة عن مبادىء أصول الحديث قبل شرحه بينما ألف الأمام النووى مقدمة قصيرة لم تحط بجميع جوانب أصول الحديث بل وضح منهجه خلال شرحه ثم ذكر بعض أصول الحديث و منهج الامام مسلم و فضيلته.

سادسا: ويوجد فرق آخر بين شرح النووى و شرح العثمانى و هو أنّ

العلامة العثمانى يشرح كل ألفاظ الحديث و مثال ذلك حديث جبريل الذى شرحه من صفحة ١٦٠ الى صفحة ١٧٠ من المجلد الأول لفتح الملهم بينما لم يتقيد النووى يشرح لكل ألفاظ الحديث بل يشرح مفهوم المتن و مثال ذلك نفس الحديث اذ شرحه فيما بين صفحة ١٥٠ و صفحة ١٦٠ من المجلة الأول من المنهاج فى شرح صحيح مسلم.

سابعا: هناك فرق كبير بين الشارحين و هو أن شرح النووى يقتصر على آراء القدماء والاستدلال من كتبهم فقط بينما يقتصر شرح العلامة العثمانى على آراء المتقدمين والمحدثين والعرب والعجم كما توجد فيها أقوال شفهية سمعها العلامة رحمه الله من شيوخه و هذا الأقوال لم يتقيد فيها بالكتب فأورد العلامة فى هذا الشرح أقوال شيوخه وأساتذته .

ثامنا: وهناك فرق آخر هو أن شرح الامام النووى يقدم و يعرض أحكام الأصول من الأحاديث غالبا و ينفرد فى استنباط النكات واللطائف منها بينما لم يتوفر ذلك فى شرح العثمانى ودليلنا على ذلك الأمثلة التالية، ذكر الامام النووى فى شرح حديث جبريل فى قول رسول الله ﷺ "هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" فقال عن أحكامه و نكاته:.

" فيه أن الايمان والاسلام والاحسان تسمى كلها دينا وأعلم أن هذا الحديث يجمع أنواع من العلوم والمعارف والآداب واللطائف بل هو أصل الاسلام كما حكيناه. عن القاضى عياض وقد تقدم فى ضمن الكلام فيه جمل من فوائده ومما لم نذكره من فوائده أن فيه أن ينبغى لمن حضر مجلس العالم اذا علم بأهل المجلس حاجة الى مسألة لايسألون عنها أن يسأل هو، عنها ليحصل الجواب للجميع و فيه أنه ينبغى للعالم أن يرفق بالمسائل و يدنيه منه ليتمكن من سؤاله غير هياب ولا منقبض وأنه ينبغى للسائل أن يرفق فى سؤاله والله أعلم.(٧٣)

كما ذكر اللطينة فى اسناد الحديث عن عثمان بن أبى شيبة فى بيان كون

الشرك أقبح الذنوب و بيان أعظمها بعده فقال:

" أما الاسنادان ففيها لطيفة عجيبة غريبة و هى أنهما اسنادان متلاصقان رواتهما جميعهم كوفيون و جرير هو ابن عبدالحميد و منصور هو ابن المعتمر وأبو وائل هو شقيق بن سلمة و شرجيل غير منصرف لكونه اسمها عجميا علما والند المثل وروى شمر عن الأخفش قال الند الضد والشبه وفلان ند فلان و نديدته أى مثله.(٧٤)".

كما ذكر الامام النووى لطيفة عن اسناد زهير بن حرب فى فضل الوضوء والصلاة عقبه، عن قوله: (عن صالح قال قال ابن شهاب ... الخ) فقال:

" هذا اسناد اجتمع فيه أربعة تابعيون مدنيون يروى بعضهم عن بعض و فيه لطيفة أخرى وهو من رواية الأكابر عن الأصاغر، فان صالح ابن كيسان أكبر سنا من الزهرى.(٧٥)".

تاسعا: كما ينفرد شرح العلامة العثمانى فى ردود أهل الزيغ كالبريلوية والخوارج سبق الأمثلة، يكفى لنا على سبيل المثال رد أهل الشيعة عن جواز المتعة فقط فذكر العلامة خلال بحثه عن جواز المتعة عن الشيعية:.

قال ابن بطال روى أهل مكة واليمن عن ابن عباس اباحة المتعة وروى عنه الرجوع بأسانيد ضعيفة واجازة المتعة عنه أصح و هو مذهب الشيعة لكن الاجازة عند ابن عباس عند الضرورة الشديدة الميتة المضطر كما سيجىء وقال الخطابى تحريم المتعة كالاجماع الا عن بعض الشيعة ولا يصح على قاعدتهم فى الرجوع فى المختلفات الى على رضى الله عنه وآل بيته فقد صح عن على انها نسخت و نقل البيهقى عن جعفر بن محمد أنه سئل عن المتعة فقال هى الزنا بعينه...الخ"(٧٦).

فهكذا العلامة العثمانى يقدم ردود أهل الزيغ بالاستدلال النقلى والعقلى و يجمع كل بحوث متعلقة فى المسألة فى مكان واحد للاضاحة والافهام.

ونلاحظ أنه اذا كان شرح العلامة شبير أحمد العثمانى رحمه الله وقد اتفق

فی بعض النواحی مع شرح الامام النووی فقد اختلف عنه فی کثیر من النواحی فاختلف عنه فی الغرض وهو المذهب فشرح العثمانی انما یقدم مذهب الحنفیة، و یعرض مسلکها و یختلف عنها فی بیان طریقتها کما أنه یقدم بحوثا فقهیة و صوفیة فی کثیر من المسائل ویرد أهل الزیغ، کما أن هذا الشرح یبسط الموضوع و یجزئه و یفصل فیه و یسهب و یطول حتی یستغنی قارئه عن الکتب الأخری و ذلک بسبب استفادة العلامة العثمانی من جمیع شروح صحیح مسلم و شروح کتب الحدیث الأخری فأخذ منها وأضاف علیها و بعد جمع أقوالهم وتنقیح المسائل و تخویضه فیها یعطی رأیه فیها فی نهایة الأمر، وفذلک صار شرحه صفوة الشروح لصحیح مسلم.

الهوامش

١. الشیرکوتی، انوار الحسن، تجلیات عثمانی ص٨٤ و عبدالرشید ارشد. بیس بڑے مسلمان مطبوعه مکتبة رشیدیة لاهور ص٥٤٥ وثروت صولت، تاریخ پاکستان کے بڑے لوگ. مطبوعه اتحاد پبلیکیشنز لاهور عام ١٩٧٢ء ص ٢٠٩و المنشی عبدالرحمن معماران پاکستان. مطبوعه رینا آرٹ پریس لاهور عام ١٩٧٦ص٣٥٥

٢. الانبالوی، فیض و شفیق الصدیقی، شیخ الاسلام، ص ١٧

٣. الشیخ، بشیر بمفلت، مطبوعة الشیخ بشیر، لاهور.

٤. العثمانی، شبیر أحمد، فتح الملهم، ج١، ص ١٠١.

٥. العثمانی، شبیر احمد فتح الملهم، ج١، ص ١٠١

٦. العثمانی، شبیر احمد فتح الملهم، ج١، ص ١١٧.١١٨

٧. السورةالشعراء: الآیة:١١١

٨. السورةیوسف: الآیة:١٧

٩. العثمانی، شبیر احمد فتح الملهم، ج١، ص ١٠١

١٠. العثمانی، شبیر احمد فتح الملهم، ج٣، ص ٨٩.

١١. العثمانی، شبیر احمد فتح الملهم، ج١، ص ١٠١.١٠٩.

١٢. النووی، شرح صحیح مسلم، ج.٧، ص ٢٣٩

١٣. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج٣، ص ١

١٤. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص ٧٢

١٥. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص ٥١.

١٦. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١،ص ٦.

١٧. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص٢٢٠.

١٨. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١،ص ٨٠.

١٩. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص٥٣.

٢٠. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ٤٦.

٢١. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص٣٠١.

٢٢. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص ١١٢١

٢٣. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١،ص٢٩٧.

٢٤. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص٢٤٤.

٢٥. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص٢٤٩.

٢٦. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص ٨٤.

٢٧. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص ٨٩.

٢٨. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص ٥.

٢٩. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص ٦٠.

٣٠. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص ٦١٠.

٣١. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص ٦٢.

٣٢. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص ٣١.

٣٣. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص ٧٣.

٣٤. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص ٧٣.

٣٥. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص ٧٤.

٣٦. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص ١٢، ١٧، ٣١، ٤١، ٥٠، ٦٦ وغيرها.

٣٧. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص ٢، ٨، ٤ وغيرها.

٣٨. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص ١٩٦.

٣٩. العثماني، شبير احمد فتح الملهم، ج١، ص ١٩٦.

٤٠. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۲، ص ۲۱، سطر ۲۸.

٤١. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۱، ص ٦٩.

٤٢. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۲، ص ٤.

٤٣. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۲، ص ٤٩.

٤٤. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۲، ص ٤٢٩.

٤٥. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۳، ص ۱۱۲.

٤٦. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۱، ص ۱۲۲-۱۲۳.

٤٧. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۲، ص ۱٤۳.

٤٩. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۲، ص ۱۱۷.

٥٠. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۲، ص ۳٦۷.

٥١. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۲، ص۱۲۱-۱۲۲.

٥٢. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۱، ص ٤۷۹.

٥٣. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۲، ص ۱

٥٤. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۱، ص ٤۲٤-٤۲٦.

٥٥. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۲، ص ۱۱-۱٤.

٥٦. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۱، ص ۱٥۲-۱٥۳.

٥۷. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۱، ص ۱۳۱.

٥۸. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۱، ص ۱۱۷-۱۱۸.

٥۹. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۱، ص ۱۱۷.

٦٠. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۲، ص ٦٩.

٦١. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۳، ص ٤٤۱.

٦٢. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۱، ص ۱۰۹.

٦۳. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۳، ص ۹۰.

٦٤. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۱، ص ۱٥۸.

٦٥-٦٦. انظر، منہج شبیر أحمد العثمانی لہذا الفصل.

٦۷. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج۱، ص ٦٦.

٦۸. النووی، المنہاج فی شرح صحیح مسلم، ج٥، ص ۲۲۳، المطبعة المصریة و مکتبہا.

٦٩. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج١، ص ٤٢٤۔

٧٠. النووی، المنہاج فی شرح صحیح مسلم، ج١، ص ١٥٧۔ مطبوعۃ، المطبعۃ المصریۃ و مکتبہا۔

٧١. انظر الی " منہج العلامۃ خلال شرحہ فی الفصل۔

٧٢. انظر الی " مذہب العلامۃ العثمانی فی فتح الملہم"، فی ہذا الفصل ومنہج النووی فی فصل الأول لہذا الباب۔

٧٣. النووی، المنہاج فی شرح صحیح مسلم، ج١، ص ١٦٠۔

٧٤. النووی، المنہاج فی شرح صحیح مسلم، ج٢، ص ١١٢۔

٧٥. النووی، المنہاج فی شرح صحیح مسلم، ج٣، ص ١١٢۔

٧٦. العثمانی، شبیر احمد فتح الملہم، ج٣، ص ٤٤٤۔